علم أسباب النزول

– دراسة في النظرية والتطبيق –

أ.م.د محمد كاظم الفتلاوي

ملخص البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اما بعد..

إنَّ لمعرفة أسباب النُّزُول الأثر الأكبر في توجيه معاني النَّص القُرْآني وبَيان دلالاته، إذ إنَّه اتّخذ مدخلاً أساسياً من مداخل التَّفسير القُرْآني، وهذا ما حَدَا بالواحديّ (ت: ٤٦٨هـ) إلى أن يتشدد في امتناع فهم الآية إلاّ بمعرفة سبب نزولها، فقال: (... لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نُزُولها)(١)، فهي بذلك (طَّريقَ قوي في فَهْمِ معاني القُرْآن)(٢).

لهذا نجد المفسرين يصدرونها ويقدمونها فيجعلونها في أول شيء يذكر في دراسة النص القرآني وذلك بعد ذكرهم لمناسبة النص لما قبله وبعده. وإن علم أسباب النزول علم مستقل ومتكامل له نظريته وتطبيقاته ومسائله المحددة المقننة، وقد يكون سبب النزول في بعض الأحيان تفسيراً بحد ذاته.

وقد كانت خطة البحث من مطلبين، كان المطلب الأول: **مفهوم علم أسباب النزول**؛ وفيه: ١. بيان الآيات التي لها سبب نزول من غيرها. ٢. معنى أسباب النزول. ٣. العلاقة بين سبب النزول وشأن النزول. ٤. طريق معرفة سبب النزول. ٥. أهمية معرفة سبب النزول.

والمطلب الثاني: **الضوابط والقواعد النَّظريَّة في علم أسباب النُّزول**؛ وفيه: ١. ضوابط قبول روايات أسباب النزول. ٢. قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونطاقها. ٣. القرآن نزل بإياك اعني واسمعي ياجارة. ٤. ضوابط قبول الرواية عند تعدد أسباب النزول والنازل واحد. ٥. قاعدة: ترجح أسباب النزول عند اختلاف الآراء.

متلوات بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أما بعد..

مقدمة البحث.. فان علم أسباب النزول علم من علوم القرآن الكريم التأريخية المهمة والتي لا غنى للباحث المفسر لآيات الكتاب المجيد من معرفته والألمام به، فهو من الضرورات التي لابد ان تكون نصب أهتمام المتدبر لنصوص القرآن الكريم، وأكد هذا الأمر أمير المؤمنين علي ,, في قوله: (ما دخل رأسي نوماً ولا غمضاً على عهد رسول الله ﷺ حتى علمت من رسول الله ﷺ ما نزل به جبرئيل في ذلك اليوم في حلال أو حرام أو سنة أو أمر أو نهي فيما نزل فيه وفيمن نزل)(٣)، وكذلك نلحظ المعنى ذاته في قول الإمام جعفر الصادق ,,: (واعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم والمكي والمدني ، وأسباب التنزيل ... فليس بعالم القرآن ولا هو من أهله)(٤).

لهذا اعتنى به علماء المسلمين قديماً وحديثاً، وقد دلَّ على مدى اهتمامهم بهذا العلم كثرة الجهود المبذولة في سبيل تدوينه، وإفرادهم له بالعديد من المؤلفات الخاصة(٥)، كذلك كان (الحضور البارز لأسباب النزول في كتب التفسير القرآني، وهو حضور يمتد في الزمان لاقترانه بتاريخ التفسير نفسه)(٦)، كما وان لأسباب النزول (تأثيرها

الواضح في علوم القرآن كالعام والخاص والمطلق والمقيد وغيرها، فبامكانها تخصيص العام القرآني وتقييد مطلقه وتفصيل مجمله)[٧].

وبعد الاطلاع على بعض كتب أسباب النزول والتفسير سواء القديمة منها[٨] أو الحديثة[٩] تبين للباحث أنه من المهم أن نتناول بالدراسة والبحث هذا العلم، حيث تعددت الأقاويل الخاصة بهذه القضية وتضارب آراء العلماء لأن كلاً منهم يرى تصوراً خاصاً لفروض وتصورات هذا العلم من ناحية مختلفة، ومن ثم توظيفه في فهم الآية على وفق معطيات مسبقة تسلمها بعض الباحثين المعاصرين تسلم المسلمات بلا تمحيص ولا تدقيق في سبر غور علم أسباب النزول، فكان الاشكال هنا هو ما مفهوم علم أسباب النزول ومنزلتة من التفسير؟ أما أهمية البحث فكانت في ان الاعتماد على القرآن المجيد وحده لا يكفي أن يكون بياناً لجميع أمور الدين، فلا بد لسنة المعصوم ,, معه كي تكون موضحة له ومفسرة، ومن هنا كانت مشكلة البحث وأهميته.

كما حرص الباحث على الاستشهاد بالأمثلة التي تدعم الضوابط والقواعد المتعلقة بأسباب النزول، والتي تكون محلاً للتطبيق الذي يرومه في بحثه، وهو ما سيتضح جلياً في المطلب الثاني.

لهذا كان **منهج الدراسة:**

١. المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء أسباب النزول في مظانها، واستقراء ما تحويه من فروع وتطبيقات.
٢. المنهج التحليلي: من خلال تحليل قواعد أسباب النزول مفهوماً، وتطبيقاً، ومضموناً وصياغة.

وفي هذا الصدد؛ حرص الباحث على الاطلاع على كثير من آراء العلماء ومنهجيتهم، ولحظ فيها ما لحظه غيره من ابتعاد (البعض منها) عن المنهجية العلمية المقرونة بالضوابط والقواعد المتعلقة بعلم أسباب النزول؛ يقول الأستاذ محمد عزة دروزة: (إنَّ هناك رواياتٍ كثيرةً في أسباب النزول ومناسباته، وقد حشرتْ في كتب التفسير التي كتبت في مختلف الأدوار، لا تثبت على النقد والتمحيص طويلاً، سواء بسبب ما فيها مِن تعدُّد وتناقض ومغايرة، أو مِن عدم الاتِّساق مع رُوح الآيات التي وردتْ فيها وسياقها، بل نصوصها أحيانًا، ومع آياتٍ أخرى، حتى إنَّ الناقد البصير ليرَى في كثير مِن الروايات أثرَ ما كان مِن القرون الإسلامية الثلاثة مِن خلافات سياسيَّة، ومذهبيَّة، وعنصريَّة، وفقهيَّة.......)[١٠].

وهذا تقريرٌ بأنَّ ثَمَّة مصادر وكتب وتفاسير لم توفق الى فهم النص القرآني بسبب الابتعاد عن المنهجية العلمية في التعامل مع علم أسباب النزول.

وقد سجلنا ملاحظات نجدها جديرة بالاهتمام؛ ولولا الخروج من موضوع البحث لنقدت بعض تلكم الكتب إلا انه ليس محلها ها هنا وان كانت تصلح ان تكون دراسة مستقلة ينتفع منها في قابل الأيام – ان شاء الله تعالى-.

وإذ يدلو الباحث دلوه مع من ادلى من العلماء والباحثين، زاعماً ان بحثه هذا قد ابتنى على منهجية أكاديمية، وبالوقت نفسه لا يدعي ها هنا التفرد بقدر انه يسوق قضايا علم أسباب النزول كعلم مستقل له ضوابطه وقواعده وتفرعاته مع الاقرار بفضل السبق لكل العلماء الباحثين في هذا العلم الجليل.

أما خطة البحث فكانت من مطلبين بعدهما خاتمة وقائمة بالمصادر وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم علم أسباب النزول

ان محاولة تتبُّع مفهوم سبب النزول يكون عماده هو الوقوفُ على تعريفات العلماء أو فُهومهم عن طريق التطبيق العَملي الذي قاموا به في أعمالهم، والتي درست سبب النزول، سواء أكانت دراسةً منفردةً، أم دراسة عرضيَّة ضمن دراسة علوم القرآن التاريخية.

بمعنى: إنَّ التتبُّع يقتَضِي الاستيعاب لكلِّ المصادر التي عرَّفتْ بسبب النزول، وهذا مُتعذِّر الآن، بسبب أنَّ غالبية كتب أسباب النزول المفردة فيه إمَّا مفقودة أو مخطوطة، والأخيرة أقلُّ بكثيرٍ من الأولى.

وكذلك تعد روايات أسباب النزول الصحيحة قليلة بالنسبة لعدد آيات القرآن، وبالنسبة للكم الهائل الوارد في كتب التفسير. وإن أكثر القرآن نزل ابتداء من دون سبب ليعالج الأوضاع والعادات الفاسدة. فأسباب النزول بعدها روايات حديثية تنضم إلى قسم التفسير بالمأثور، وهذا ما نجده واضحاً عند المفسرين ممن اعتنى بجانب الرواية، كما نلحظه عند المحدثين حين يذكرون الروايات التفسيرية للقرآن الكريم(١١).

ولكنْ إذا جعلنا كلَّ عالِمٍ من العُلَماء الذين تكلَّموا عن هذا العلم ناقلٌ لما سبقه من فهوم العلماء إمَّا تصريحاً أو تطبيقاً جاز لنا أنْ نمثل على العملية التطوُّرية في مفهوم سبب النزول بعد عصر التدوين بما وصل إلينا من كتبٍ في سبب النزول، وقد يحسن بي أنْ أُذكِّر بأمرٍ مهمٍّ، وهو أنَّ علوم المسلمين قائمة على الرواية، بما يجعلني مُطمئنّاً لهذه الطريقة في فهم التطوُّر أو الاختلاف في فهْم سبب النزول.

وعلى كل حال؛ سيتناول هذا المطلب جملة من الفقرات التي تبدو لنا موضحة لمفهوم علم سبب النزول، والتي هي:

١. بيان الآيات التي لها سبب نزول من غيرها.
٢. معنى أسباب النزول.
٣. العلاقة بين سبب النزول وشأن النزول.
٤. طريق معرفة سبب النزول.
٥. أهمية معرفة سبب النزول.

وعلى النحو الآتي:

أولاً: بيان الآيات التي لها سببُ نزول من غيرها:

معلوم أن القرآن الكريم أنزله الله على قلب رسول الله ﷺ مفرقاً على مدى سنوات البعثة المحمدية كلها.

ومن خلال ذلك التنزيل ندرك أن القرآن الكريم ينقسم من حيث سبب نزوله على قسمين:

١– قسم ما نزل ابتداء من غير سبق سبب نزول خاص، أي سبب نزول عام للقرآن الكريم إذ ان سبب نزوله الرئيس هو هداية الناس وارشادهم، وهو كثير في القرآن الكريم، وذلك مثل الآيات التي اشتملت على الأحكام والآداب، التي قصد بها ابتداء هداية الخلق وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، إذ (أن الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة .. لا تحتاج كثيراً أو لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول)(١٢).

٢– قسم ما نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، وهو موضوع بحثنا الآن، وليس من قصدنا في هذا البحث استيعاب آيات القرآن التي نزلت لأسباب خاصة وذكر أسبابها، إنما قصدنا ذكر مباحث كلية تعين على تفسير كتاب الله ، ومعرفة القواعد والاصطلاحات في هذا الباب.

لذلك كانت أسباب النزول من أوجب ما يجب الوقوف عليها، لامتناع معرفة بعض آي القرآن من دون الوقوف على قصصها وبيان نزولها، فأسباب النزول تساعد المفسر في بيان المجمل، وإيضاح الخفي، وقد يكون سبب النزول في بعض الأحيان تفسيراً بحد ذاته.

وفي هذا يقول ابن عاشور: (إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه، لأن فيها بيان مجمل، أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيراً، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك)[١٣].

ثانياً: معنى أسباب النزول:

الأسباب لغة: جمع مفرده: سبب، والسبب لغة: كل ما يُتَوصل به إلى غيره، فكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب، والأصل في استعماله: الحبل الذي، يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء[١٤]، فمن خلال هذا التعريف اللغوي للسبب نقول: سبب النزول من خلاله نتوصل إلى المعنى الصحيح والدقيق للنص القرآني. ولهذا نجد أن هناك عالقة بين مدلول معنى السبب من الناحية اللغوية والاصطلاحية، لكن الدلالة اللغوية أعم وأشمل.

أما تعريف **سبب النزول اصطلاحاً:** فقد عَرَّفَه السُّيُوطيُ (ت:٩١١هـ) بانه: (ما نَزَلتْ الآية أيام وقوعه)[١٥]، أو بِمَعْنى أدق هو (الأمر أو الحادثة التي تعقب نُزول آية أو آيات في شخصٍ أو واقعة)[١٦]. فتكون الآية أو الآيات النازلة متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه كحادثة أو سؤال.

والمعنى: ان حادثة وقعت، أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وذلك مثل حادثة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزلت بسببها آيات الظهار، ومثل ما حدث بين الأوس والخزرج من خصومة، بسبب تأليب أحد اليهود العداوة بينهما، فقد نزل عقبها قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ...**﴾[١٧].

وسواء أكان هذا السؤال يتعلق بأمر مضى مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً**﴾[١٨]، أم يتصل بحاضر؛ مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[١٩]، أم يتصل بمستقبل؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿**يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ..**﴾[٢٠].

والمراد بأيام وقوعه أن تنزل بعده مباشرة، أو بعد ذلك بقليل، مثل الآيات المتعلقة بقصة أهل الكهف وذي القرنين، فقد نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤالهم النبي ﷺ، ومثل حادثة الإفك، فقد نزلت الآيات المتعلقة بذلك بعد شهر.

وهذا القيد في التعريف: يخرج الآيات التي تنزل ابتداء، بينما هي تتحدث عن قصص الأنبياء، وأحوال الأمم معهم، أو عن بعض الحوادث الماضية، كسورة الفيل مثلاً، أو تتحدث عن مستقبل كاليوم الآخر وما فيه من نعيم أو عقاب؛ فإن هذه القصص والأحداث لا تعد أسباباً.

ثالثاً: العلاقة بين سبب النزول وشأن النزول:

قيل إن سبب النزول أخص من شأن النزول؛ لأن المراد من الشأن كلّ أمر نزل القرآن الكريم ليعالج شأنه بالشرح والبيان سواء أكان أمراً مقارناً لعصر النزول أم سابقاً عليه، بخلاف السبب فإنه حدث مقارن لعصر النزول أدّى إلى نزول آية أو آيات، فالحديث في قصص الماضين يعد شأناً – وليس سبباً – لنزول الآيات التي قامت بعلاجه(٢١).

نعم فلو امعنا النظر في آيات القرآن الكريم نلحظ ليس لجميعها سبب لنزولها(٢٢)، وان (تسعة أعشار آيات المصحف ليست لها أسباب نزول)(٢٣).

ولكن هذا النظر والامعان في عنوانه الأولي، اما في العنوان الثانوي فان كل آيات القرآن الكريم لها سبب إذا ما علمنا ان سبب نزول القرآن الكريم جملة وتفصيلاً هو لسبب الهداية والارشاد للناس جميعاً.

رابعاً: طريق معرفة سبب النزول:

ان أسباب النزول مسألة ليست عقلية، بل هي سمعية، فلا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح، ولا مجال للعقل فيه إلا بالتمحيص والترجيح.

وهذا ما يُؤدّي إلى التَّصرف في الرِّواية والنَّقل، وانعكاس ذلك على مفهوم النَّص ودلالته، حَتىَّ عاد لبعض الآيات إذ لم يكن أغلبها أكثر من رواية وأكثر من سبب نُزول.

فضلاً عن دخول الإسرائيليات إلى ساحة التَّفسيرِ، وتضلُّع رجال مِمَّن أُغرِمَ بها وتكلَّف الجمع والإحاطة في كُلِّ ما قِيْل في الآيات، فأورد بذلك الغث والسَّمين والمقبول والمردود، وقد بَانَ لنا موقف بعضهم.

قال الدهلوي (ت:١١٧٦هـ) بشأن الكلبي (ت:١٥١هـ): (وأمَّا إفراط محمد بن إسحاق الكلبي في هذا الباب، حيث أورد تحت كُلِّ آية قصة تروي، أو حكاية تذكر، فإنها لا تصح لدى المحدثين وفي أسانيدها نظر)(٢٤).

ويقول السَّيِّد عبدالله شبر (ت:١٢٤٢هـ): (وأمَّا الرّجوع في التَّفسيرِ وأسْبابِ النُّزول إلى أمثال عِكرمة ومجاهد وعطاء وضحاك كما ملئت كتب التَّفسير بأقوالهم المرسلة، فهو مِمَّا لا يعذر فيه المسلم في أمر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به الحُجَّة...)(٢٥).

وحتى بعد ان دونت أسباب النزول إلا انها لم تكن مدونة في كتب مستقلة وانما في بطون كتب وعلوم شتى حتى القرن الخامس الهجري، إذ استقل هذا العلم، ويُعد كتاب (أسباب النزول) للواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) أول تأليف كامل أفرد لهذا العلم، وكان دافعه لهذا العمل هو شيوع وذيوع الأخبار الموضوعة المنسوبة لهذا العلم، والرغبة في تنقيته منها، حتى لا تتزعزع ثقة العلماء فيه، لكونه لا غنى لأحد عنه في فهم آيات الأحكام، وهذا ما أشار إليه بقوله: (فأما اليوم فكل واحد يخترع للآية سبباً ويخلق إفكاً وكذباً، ملقياً زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد لجاهل سبب الآية، وذاك الذي حداني إلى إملاء الكتاب الجامع للأسباب، لينتهي إليه طالبو هذا الشأن،

والمتكلمون في نزول القرآن، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب، ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب)[٢٦].

ومع ما قام به الواحدي من جهد كبير لم يرتق إلى مستوى الهم الذي حمله على عاتقه، وهو تأسيس علم جديد مستقل بذاته، فصنيعه يدل على عدم قدرته على تجاوز ما كتبه السابقون، فلم يستطع إلا أن يتأثر بهم وأن يغرف من معينهم، فأغلب الروايات التي ساقها في كتابه هي موجودة في كتب تفسير شتى كتفسير السدي والكلبي ومقاتل والطبري وغيرهم، وأضاف إلى ذلك مصادرأخرى، مثل كتب الحديث والتاريخ والمغازي.

ويزداد العجب عندما نجد الواحدي يذكر عِدَّة أسْبَاب لنزُول قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رءُوفٌ بِالْعِبادِ**﴾[٢٧]، ولم يذكرْ رواية واحدة بشأن أمير المؤمنين علي ,,، مع ان هناك بعض المفسرين من مدرسة الصحابة ذكروا انها نازلة بحق الإمام علي ,,[٢٨]، في حين ان الواحدي قد أخذَ على نفسه في مُقدّمة كتابه أن يذكر سبب نزول كُلّ آية رُوِيَ لها سبب مقول مروي منقول[٢٩]!!.

إذن ما رسمه الواحدي في خطبة كتابه من منهج يتتبع الروايات ويمحصها، لم يكن موفقاً في كثير منه على حد قول الحافظ ابن حجر (ت:٨٥٢هـ)، فقد وقع في أغلاط كثيرة عابها عليه غيره[٣٠]، فضلاً عن عدم استيعابه لكثير من روايات أسباب النزول[٣١]، كما يعد مؤلفه متضمناً لجملة من الأغلاط المنهجية.

البعض التمس له العذر، بأنه لم يكن من فرسان هذا الميدان، بل كان لغوياً ماهراً، ولم يكن محدثاً مؤرخاً حازماً، واستدلوا على ذلك بأدلة، منها ما ذكره الذهبي عنه أنه كان بارعاً في اللغة[٣٢].

نعم شُحنت كتب أسباب النزول والتفسير، بأخبار ضعيفة ووقائع موضوعة، وقصص واهية، وأقوال سقيمة غير لائقة، ولأجل هذا قال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ): (ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والمغازي، والملاحم)[٣٣]، وقال الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ): (ولا أعلم في التفسير كتاباً مصنفاً سلم من علة فيه أو عري من مطعن عليه)[٣٤].

وسبب هذا عدم التمحيص للروايات والتدقيق فيها وتمييزالصحيح والسقيم منها، قال ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ): (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لأعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر، ولا بد من ردها إلى ألإصول وعرضها على القواعد)[٣٥].

وبرهان هذا ما ورد في كثيرمن كتب التفسيرمن روايات في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾[٣٦]، وخلاصتها أن هم يوسف بلغ منه أنه تصرف تصرفاً مريباً، وقد أورد بعض المفسرين هذه الروايات وأيدها، وصرف بعض التفسيرات المعارضة لها، ومن ذلك ما ذهب إليه البغوي (ت:٥١٠هـ) بعد أن ذكر الروايات التي ذكرنا مضمونها آنفاً قال: (وهذا قول أكثر المتقدمين ... والقول ما قال متقدموا هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا في الأنبياء من غير علم)[٣٧].

إلا أن المفسر فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) تنبه لهذه الروايات فردها ونقضها، وذب عن براءة النبي يوسف ,, من العمل الباطل والهم المحرم[٣٨]، وذلك ما فعله من ذي قبل علماء ومفسري مدرسة أهل البيت في تنزيه الأنبياء.

وأمثال هذه الروايات كثيرفي كتب التفسير، وأسباب النزول، لهذا على أهل العلم التثبت من الروايات واعمال العقل العلمي في الترجيح فيها، وسبر غورها وظروفها.

وان الطَّريق الصَّحيح لمعرفة أَسْبَاب النُّزُول هو ما كان موثق الصدور من أهل البيت b والصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين، بحيث يقطع معه من صحة الحادثة أو متواتراً وإلاّ يجب عرضه على القُرْآنِ الكريم، بحيث يكون السَّببُ (مِمَّا يرفع الإبهام عن وجه الآية تماماً، ويحلُّ مشكلة تفسيرها على الوجه الأتم، على قيد أن لا يكون مخالفاً لضرورة دين أو متنافراً مع بديهة العقل الرَّشيد. الأمر الذي يكفي بنفسه شاهد صدق على صحَّة الحديث أيَّاً كان الإسناد)[٣٩].

وما يذكره الصحابي في باب النزول إنما يكون عن علم وجداني حصل عندهم بمشاهدة القضايا، ووقوفهم على الأسباب، فيكون إخبارهم عنها من باب الشهادة، لا من باب الرواية والحديث. ولهذا وضعت ضوابط لقبول هذه الشهادة، كما أن القرآن الكريم كله متواتر وقطعي الصدور وهو بهذا يمتاز على أي حديث مروي؛ وعليه ان (سبب النزول الوارد حول آية من الآيات لو لم يكن متواتراً أو قطعي الصدور يجب عرضه على القرآن، مما وافقه مضمونه مضمون الآية يؤخذ به ويعمل عليه. ومعنى هذا أن الحديث هو الذي يعرض دائماً على القرآن لا القرآن يعرض على الحديث)[٤٠].

وهذه الطريقة تسقط أكثر أحاديث أسباب النزول عن الاعتبار، إلا أن الباقي منها يكسب كل الاعتبار والوثوق.

خامساً: أهمية معرفة أسباب النُّزول:

لولا هذا العلم لزلّت أقدام كثير من المفسرين في إدراك معنى كثير من آيات كتاب الله تعالى والوصول الى مراده في كلامه، وأكد الأئمة على هذا الاهتمام، والاعتناء به، فجعله الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الأمور التي لو لم يعرفها المتصدي لمعرفة القرآن لم يكن عالماً بالقرآن، فقال عليه السلام: (اعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله: الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمحكم والمتشابه، والرخص من العزائم، والمكي من المدني، وأسباب التنزيل...، فليس بعالم القرآن، ولا هو من أهله)[٤١].

ومن هنا نعرف سر عناية الإمام علي عليه السلام بأمر نزول القرآن ومعرفة أسبابه ومواقعه، فقد كان يعلن دائماً عن علمه بذلك، ويصرح باطلاعه الكامل على هذا القبيل من المعارف الإسلامية، إذ قال عليه السلام: (والله ما من آية نزلت في رجل من قريش ولا في الأرض في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا أنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي يوم وفي أي ساعة نزلت)[٤٢].

ولهذا الأهتمام منه ,, ولأمور عقائدية أخرى قال عنه ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ): (فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب عليه السلام)[٤٣].

ومع هذا ان أهمية أسباب النزول ومعرفتها من الأهمية والخطورة بمكان لا ينكره أحد، وهي واضحة من حيث تُعد من الشروط الأساسية لمن يريد التعرف على القرآن.

ويمكن أن نرصد **أهمية العلم بأسباب النزول** في الفوائد الآتية:

أولاً: الوقوفُ على المعنى وإزالةُ الإشكال، ومثالنا هنا ان مروان بن الحكم (ت:٦٥هـ) وقع في لبس واشكال حين قرأ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤٤)، فبعث إلى ابن عباس (ت:٦٨هـ) يسأله: لأن كان كل امرئ فرح بما أوتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون! فقال ابن عباس: هذه الآية نزلت في أهل الكتاب؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(٤٥)، ثم قال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شئ فكتموه وأخبروه بغيره؛ فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه؛ فاستحمدوا بذلك إليه؛ وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه(٤٦).

ثانياً: استنباط الأحكام الفقهية اعتماداً على الظروف المحيطة بالنُّزول المبيَّنة بالسَّبب. مثلاً: قد يتصور أن التعبير بـ "لا جناح" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما﴾(٤٧)، يفيد أن السعي بين الصفا والمروة ليس واجباً، بينما لو لوحظ سبب نزولها لعُلم أن هذا التعبير لم يكن إلا لرفع توهم حرمته فلا يدلّ على عدم الوجوب.

ثالثاً: بيان الحكمة التي دعت الى تشريع حكم من الأحكام الشرعية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾(٤٨)، فقد نزلت هذه الآية لما كانت النساء المسلمات يخرجن بالليل الى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن(٤٩).

رابعاً: تيسيرُ الحفظ وتسهيلُ الفهم في ذهن كلِّ مَن يسمع الآية إذا عَرَف سببها.

خامساً: في نزولِ بعضِ آياتِ القرآن الكريم عند الحوادث قطعُ دعوى مَن ادَّعوا أنه أساطير الأوَّلين.

سادساً: من خلال سبب النزول ندرك مراعاة التشريع الإسلامي لمصالح العباد العامة عند معالجة الحوادث وذلك رحمة بالأمة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾(٥٠)، عن ابن عباس: أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به ولا مالاً يأكل حتى يتصدق به(٥١). وعن يحيى: أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾(٥٢). والعفو: هو ما تيسر انفاقه من حيث الوسط أو الكفاف والفضل من أموالهم، وهو المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام(٥٣). فنلحظ ان التشريع الإسلامي يُريد اليسر بالناس ولا يكلفهم ما لا يطيقون من الانفاق رحمة بهم.

سابعاً: في معرفةِ أسبابِ النُّزول إعانةٌ للدَّارس على معرفةِ التناسبِ بين بعضِ الآي والسُّور.

ثامناً: معرفةُ هل الآية مكيّة أو مدنيّة، ومعرفةُ مكانِ نزولها في بعض الأحيان.

مما تقدم تتضح أهمية ومفهوم علم أسباب النزول ومكانته في علوم القرآن، ويكون العالم به عالماً بعلوم القرآن ولاسيما في علم التفسير، فربما منع العلماء من تفسير القرآن الكريم من لا علم له بأسباب نزوله.

المطلب الثاني: الضوابط والقواعد النَّظريَّة في علم أسباب النُّزول

سنتناول في هذا المطلب مجموعة من الضوابط والقواعد المتعلقة بعلم أسباب النزول، وعلى النحو الآتي:

١. ضوابط قبول روايات أسباب النزول.

٢. قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونطاقها.

٣. القرآن نزل بإياك اعني واسمعي ياجارة.

٤. ضوابط قبول الرواية عند تعدد أسباب النزول والنازل واحد.

٥. قاعدة: ترجح أسباب النزول عند اختلاف الآراء.

أولاً: ضوابط قبول روايات أسباب النزول

بما ان أسباب النزول هي روايات لهذاَ يَنْبَغِي التَّثبت مِمَّا بلغنا منها وعدم التَّسليم بها دائماً، إذ إنَّ لمنع تدوين الحديث، ونَقل المعارف في ثقافة شفوية – أي النَّقل بالمعنى – كان سبباً رئيساً ان تواجه حجية أسباب النزول مشاكل عديدة والتي منها:

١. وجود الدس والتزوير فيها.

٢. وقوف الرواية على بعض الصحابة والتابعين.

٣. قلة الروايات الواردة في هذا المجال.

٤. دخول البُعد السياسي وتأثيره على أسباب النزول.

٥. ما دسه أصحاب المذاهب الباطلة والنحل الزائفة.

٦. دخول الإسرائيليات إلى ساحة التَّفسيرِ، وتضلُّع رجال مِمَّن أُغرِمَ بها وتكلَّف الجمع والإحاطة في كُلِّ ما قِيْل في الآيات.

لهذا يهدي النَّظر إلى أنَّ قبول روايات أسباب النُّزول مقرونٌ **بضوابط** منها:

أوَّلاً: يُقبَل في أسباب النُّزول النَّقل، ولا يُقبَل فيها احتمالات العَقل.

ثانياً: يُقبَل في أسباب النُّزول النَّقل المقبول بميزان أهل الحديث، ولا يُقبَل فيها المردود بميزان أهل الحديث (شروط قبول الرواية من عدمها).

ثالثاً: يُقبَل في أسباب النُّزول الواقعةُ العَيْنِيَّة، ولا يُقبَل الوقائع غير المحدَّدة، وغير المعيَّنة. إذ إن (ما ذكروه من أسباب النزول كلها أو جلها نظرية بمعنى أنهم يروون غالباً الحوادث التاريخية ثم يشفعونها بما يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها أسباب النزول وربما أدى ذلك إلى تجزئة آية واحدة أو آيات ذات سياق واحد ثم نسبة كل جزء إلى تنزيل واحد مستقل وإن أوجب ذلك اختلال نظم الآيات وبطلان سياقها وهذا أحد أسباب الوهن في نوع الروايات الواردة في أسباب النزول)[٥٤].

رابعاً: يُقبَل في روايات أسباب النُّزول ما صُرِّحَ فيه بالسَّببيَّة، أو احتُمِلت فيه السَّببيَّة، ولا يُقبَل خلافُهما.

خامساً: اتباع طريقة تجميع القصاصات الوثائقية من خلال معرفة القرائن المختلفة للوصول الى السبب الموضوعي العلمي من خلال العرض على الآية والمواقف وما شابه ذلك.

ثانياً: قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونطاقها:

١. قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصها:

إذا نزلت الآية بسبب خاص، وكان اللفظ فيها عاماً فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة لا التخصيص.

فمن المعلوم لو كانت الآيات النازلة بسبب النزول مفادها خاص بالسبب لفقدت الكثير من آيات القرآن الكريم تطبيقاتها، ولغدا القرآن كتاباً للماضين ولا يحمل اية رسالة للآتين، ولمات القرآن و(انقطع الحجاج به في واقعة من الوقائع التي بعد عصر التنزيل، و–هذا– لا يوافقه كتاب ولا سُنة ولا عقل سليم)[٥٥]، لهذا تبين من هذه القاعدة ان سبب النزول الخاص لكل آية تبيّن أحكاماً عامّة وشمولية عابرة لزمان ومكان سبب النزول، وقد أكد الإمام محمد الباقر عليه السلام مضمون هذه القاعدة بقوله: (إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين)[٥٦]، وفيما يأتي أمثلة توضح هذه القاعدة، والتي منها:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾[٥٧]؛ فاللفظ عام، وسببها خاص؛ فسبب نزولها: ظِهار أوس بن الصامت من زوجته، وقد كان في الجاهلية إذا غضب رجل من زوجته وأراد أن يطلقها قال لها: (أنتِ عليَّ كظهر أمي)، وهذا ما يُعرف بالظِّهار، فغضب ذات يوم منها زوجها أوس بن الصامت، فظاهَرها، وكانت أول حادثة ظهار في الإسلام، فذهبت خولةُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشكو إليه ظِهار زوجها، وأنه لم يذكر طلاقاً، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما أراكِ إلا قد حرُمْتِ عليه)، فأخذت تجادل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: كبرت سني ودق عظمي، وان أوساً تزوجني وانا شابة، فلما علت سني يريد أن يطلقني![٥٨] فنزل قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٥٩]. فلا نقول: إن آيات الظهار نزلت لحل مشكلة هذا الرجل فقط، بل حكمها عام؛ لأن لفظها عام، و(العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب).

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦٠]، ذكر ابن عباس: أن معاذاً سأل اليهود عما في التوراة من ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه إياه، فأنزل الله هذه الآية[٦١]، إذن كان سبب النزول هم اليهود الذين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم التي بأيديهم، مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك؛ لئلا تذهب رئاستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتُّحَف على تعظيمهم إياهم، فخشُوا – لعنهم الله – إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزرٌ يسير، فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهُدى وإتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النَّزْر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة.

والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فالآية الكريمة وإن نزلت في اليهود، لكنها عامة في حق كل مَن كتم شيئاً من باب الدِّين.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[٦٢]، الآية نزلت بالمدينة في شهداء أُحد؛ وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد؛ من تبقير البطون، والمُثْلة السيئة، حتى لم يبقَ أحَد من قتلى المسلمين إلا مُثِّل به، غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك، فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لأن أظهَرَنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم، ولنُمثِّلَنَّ بهم مُثلةً لم يفعلها أحَد من العرب بأحَد[٦٣].

والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فالآية الكريمة وإن نزلت في قول المسلمين بحق شهداء أُحد، لكنها عامة فيمن أراد القِصاص؛ فالقِصاص بالمِثل ولا زيادة عليه، والصبر والعفو خير وأبقى.

٢. نطاق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

هذه القاعدة ليست مطلقة في كل آيات القرآن الكريم المنزلة بسبب النزول، ولا يمكن حمل الآية على عمومها وذلك في حالتين:

الحالة الأولى: أن بعض الآيات تحمل مضامين خاصة لأنها نزلت في أشخاص مُعينين بناءً على حوادث خاصة، أي إنها نزلت لسبب معين. وعليه لا يُراد منها العموم.

الحالة الثانية: الآيات التي وقع فيها النسخ، إذ ان نسخ الآية يقضي على عمومها.

وأمثلتنا في الحالتين كالآتي:

الحالة الأولى:

١. أن يكون لفظ الآية لا يقتضي العموم كما في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٤]. فهذه الآية خاصة بالنبي ﷺ. إذ كان سبب نزولها ان أم شريك الدوسية (غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية) عرضت نفسها على النبي ﷺ بلا مهر وكانت جميلة فقبلها ﷺ، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك فسماها الله مؤمنة فقال تعالى: (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) فلما نزلت الآية قالت عائشة: ان الله يسرع لك في هواك[٦٥]. إذ ان الله تعالى جعل هبتها نفسها جواباً للاستنكاح وهو طلب النكاح وبلا مهر وهو مضمون الهبة، ولا يمكن أطلاق الآية على سائر المسلمين لأنها من مختصات النبي الخاتم ﷺ.

٢. نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٦٦] على النبي ﷺ وهو في بيته فخرج رسول الله ودخل إلى (المسجد والناس بين قائم وراكع، فنظر سائلاً؛ فقال: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم خاتم من ذهب، قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: على أي حال أعطاك؟ قال أعطاني وهو راكع، فكبّر النبي ﷺ..)[٦٧].

وعليه لا يمكن حمل الآية على عمومها وتجاهل سبب النزول وإنما الآية مرتبطة تحديداً بسبب نزولها وبداعي الشخص الذي نزلت من أجله وهو الإمام علي عليه السلام وعليه ههنا لا يمكن أطلاق قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب؛ لأن (اطلاقها يقتضي أن نتولى أي مؤمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، وهذا محال لأننا لو حملنا اللفظ على عمومه فإنه يؤول الى أن يكون المؤمنون جميعاً أولياء ولانجد من سيتولاهم؛ لأنهم جميعاً يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة)[٦٨]، ولكن حينما قيدها بقوله: (وَهُمْ رَاكِعُونَ) دل ذلك بأن العبرة في هذه الآية بخصوص السبب، وعليه فإن الولاية تحددت بالإمام علي عليه السلام دون غيره.

الحالة الثانية: أن تكون الآية منسوخة؛ كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[٦٩]. فهذه الآية الكريمة عامة في ألفاظها، وان سبب نزولها ان الأغنياء من الصحابة كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وآله فيستكثرون من السؤال عليه صلى الله عليه وآله وكان الواحد منهم يتناجى مع رسول الله طويلاً، ويغلبون الفقراء على المجالس حتى شق على رسول الله صلى الله عليه وآله طول جلوسهم ومناجاتهم، فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا[٧٠].

إلا ان هذه الآية نُسخت فيما بعد بقوله تعالى: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٧١]، وبهذا فإن النسخ يقضي على العموم بعد ان أباح الله تعالى لهم المناجاة من دون تقديم الصدقة، ولا معنى ههنا لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأنتفاء العمل بالآية الكريمة، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي – **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ** – كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ، فنسخت بالآية الأخرى –**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ**–)[٧٢].

ثالثاً: قاعدة القرآنُ نَزَلَ بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة:

من المعلوم ان في القرآن الكريم أقسام من الخطابات سواء كانت للرسول صلى الله عليه وآله أو لغيره[٧٣]. وندرج هذه القاعدة في أسباب النزول لكيلا لا يتوهم البعض ان كل ما نزل من القرآن مخاطباً حضرة النبي صلى الله عليه وآله يكون النبي هو المعني به بالضرورة.

وهذه القاعدة اشار إليها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (نزَلَ القرآنُ بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة)[٧٤].

وهذا مَثلٌ يُضرَب لمَن يُخاطب شخصاً أو يتكلّم عن أمرٍ وهو يريد غيره، على سبيل الكناية أو التعريض.

وفي القرآن الكريم كثير ما يكون التنزيل مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله ولكن المقصود به غيره، وهو ما يوضحه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله: (ما عاتبَ الله نبيّه فهو يعني به مَن قد مضى في القرآن، مثل قوله: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**﴾[٧٥] عَنى بذلك غيره صلى الله عليه وآله)[٧٦].

فقوله عليه السلام: (مَن قد مضى في القرآن) أي: مضى ذِكره إشارةً أو تلويحاً وربّما نصّاً.

والأكثر أن يراد أُمّته صلى الله عليه وآله بالعتاب، ولاسيّما المؤمنون صدْر الإسلام، كانوا على قلق واضطراب في مواضعهم مع الكفّار.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٧٧]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾[٧٨]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ، وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ**

أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..﴾[٧٩]، وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى..﴾[٨٠]..

فمثل هذه الآيات وإن كانت موجه للنبي الأكرم ﷺ إلا أنَّ السبب الرئيس من نزولها هو التخصيص بأشخاص أو المعني بها عموم الناس. وهنا على أهل العلم والاختصاص التفحص والتدقيق في فهم هذه الآيات وخطاباتها الموجة للنبي ﷺ ولكنها لا تنسجم مع الحيثيات العقائدية والأخلاقية للحبيب محمد ﷺ ومن ثم البحث في الأسباب الحقيقة التي دعت الى نزول هذه الآيات.

ولعل سائل يسأل ما سبب ان يكون الخطاب موجه للنبي ﷺ مع ان سبب النزول والمقصود غيره؟! والجواب على ذلك ان الخطاب الموجه للمتلقي يكون أوقع في نفس مَن وصل إليه الخطاب مما لو كان هو المُخاطَب ابتداءً، وخصوصاً إذا كان المُخاطَب يحظى بموقعٍ متميز في نفوس المعنيين بالخطاب كما هو مقام النبي ﷺ في نفوس المسلمين، فهم يرون له مقاماً سامياً عند الله تعالى، فإذا خوطب وهو النبي الأحظى عند الله من سائر الأنبياء بمثل قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فإنَّ وقع ذلك على قلوب المؤمنين يكون بليغاً وسيدفعهم هذا الخطاب إلى التشدُّد في الحرص على عدم الوقوع في الشرك لأنَّه إذا كان وقوعه من النبي ﷺ موجباً لحبط عمله فوقوعه منهم أولى بحبط أعمالهم التي مهما تعاظمت فهي لن تضاهي معشار الصالحات من أعمال النبي الكريم ﷺ.

إذ من المعلوم ان قوله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لا يعني إمكانية صدور الشرك من الرسول ﷺ فذلك مستحيل وقوعاً نظراً لعصمته فهو ليس معنيًّاً بهذا الخطاب وإنما الغرض من توجيه الخطاب إليه هو التعبير عن خطورة هذا الذنب والتأكيد على لزوم حذر المؤمنين من الوقوع فيه.

وبهذا المعنى ورد قول الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إذا سمعتَ الله ذَكر أحداً من هذه الأمّة بخير فنحن هُم، وإذا سمعتَ الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهُم عدوّنا)[٨١].

لأنّ (القرآن يجري أوّله على آخِره مادامت السماوات والأرض، ولكلّ قومٍ آية يتلونها هُم منها من خير أو شرّ)[٨٢].

وقال عليه السلام: (ظهْرُ القرآن الذين نزل فيهم، وبطْنُه الذين عملوا بمِثل أعمالهم)[٨٣].

وعليه ان الله في القرآن الكريم خاطب الرسول ﷺ بعدة أنواع من الخطابات، فخطاب الله الموجه إلى النبي محمد ﷺ على مستويات وحيثيات واعتبارات متعددة، فبعضه يخص ذات الرسول الشريفة، وبعض يخص المسلمين، وبعض يخص به المشركين، وبعضه يخص المسلمين ولكن الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ؛ فلأجل ذلك وجب على المفسر أن يكون موضوعياً في معرفة لمن وجه الله تعالى الخطاب من خلال معرفة استخدام الأسلوب المناسب وللشخص المعين والقرائن الدالة والتي منها سبب النزول وظروفه، فربما كان التعريض والتلويح والأسلوب غير المباشر أفضل من التصريح والأسلوب والتوجيه المباشر.

رابعاً: ضوابط قبول الرواية عند تعدد أسباب النزول والنازل واحد:

قد تتعدد الأسباب الصحيحة المتكافئة التي لا نستطيع ان نرجح سبباً على سبب، فتنزل بموجبها آية واحدة، فترد روايات متعددة في سبب نزول الآية، وتذكر كل رواية سبباً صريحاً غير ماتذكره الاخرى.

ومثالنا هنا: ما يُروى في أنّ النبيَّ ﷺ سُئل مرّتين عمّن وجد مع زوجته رجلاً كيف يصنع؟

سأله عاصم بن عدي مرّة، وسأله عويمر مرّةً أُخرى، واتّفق في مرّةٍ ثالثة أنّ هلال بن أُميّة قذف امرأته عند النبيّ بشريك بن سمحاء، فكانت هذه أسباباً متعدّدة تستدعي نزول الوحي لتوضيح موقف الزوج من زوجته إذا اطّلع على خيانتها، وما إذا كان من الجائز له أن يقذفها، ويتّهمها من دون بيّنة أو لا يجوز له ذلك إلاّ ببيّنة، فإن اتّهم من دون بيّنة استحق حدّ القذف، كما هو شأن غير الزوج إذا قذف امرأةً أُخرى، ولأجل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٨٤]. فكان السبب متعدّداً والمُنْزَل واحد وهو آية اللعان.

وفي حالة تعدّد السبب قد يوجد فاصل زمني كبير بين أحد السببين والآخر، فيؤدّي السبب الأوّل إلى نزول الآية فعلاً، ثمّ يتجدّد نزولها حينما يوجد السبب الثاني بعد ذلك بمدّة، فيكون السبب متعدّداً والنزول متعدّداً وإن كانت الآية النازلة في المرّتين واحدة.

ويُقال: إنّ سورة الإخلاص من هذا القبيل إذ نزلت مرّتين؛ إحداهما: بمكّة جواباً للمشركين من أهلها، والأُخرى بالمدينة جواباً لأهل الكتاب الذين جاورهم النبي ﷺ بعد الهجرة[٨٥].

قال الزرقاني: (ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع أولى من إعمال إحداهما وإهمال الأخرى، إذ لا مانع يمنع الأخذ بهما على ذلك الوجه. ثم لا جائز أن نردهما معاً لأنهما صحيحتان ولا تعارض بينهما، ولا جائز أيضاً أن نأخذ بواحدة ونرد الأخرى، لأن ذلك ترجيح بلا مرجح فتعين المصير إلى أن نأخذ بهما معاً، وإليه جنح النووي وسبقه إليه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد)[٨٦].

من الضروري الاشارة الى الموقف الذي رسمه بعض المفسرين للتعامل مع الروايات التي تشير إلى أكثر من سبب نزول، مع الاستعانة بأمثلة تطبيقية لهذا المنهج المتمثل في **الضوابط** الآتية:

الضابط الأول؛ إذا كانت إحدى الروايتين صحيحة، والاخرى غير صحيحة اعتمدنا على الصحيحة.

مثاله: عن سمرة بن جندب (ت:٦٠هـ) قال: (قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا ودعك، فنزل: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾)[٨٧].

وعن حفص بن سعيد القرشي قال: (حدثتني أمي عن أمها خولة، وكانت خادمة رسول الله ﷺ، أن جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياما لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي. جبريل عليه السلام لا يأتيني؟ فقالت خولة: لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شئ ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: يا خولة دثريني، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾)[٨٨].

فأهل العلم بين هاتين الروايتين يقدمون الرواية الأولى في بيان السبب لصحتها من دون الرواية الثانية لأنهم يلحظون في إسناد الثانية من لا يُعرف(٨٩).

الضابط الثاني: إذا كانت كلتاهما صحيحة ولأحداهما مرجح اعتمدنا في بيان السبب على الراجح من دون المرجوحة. كأن أن تكون إحداهما أصح من الأخرى أو أن يكون راوي إحداهما مشاهداً للقصة من دون راوي الأخرى، أو ان ينسجم سبب النزول مع مضمون الآيات.

مثاله:

١. ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾(٩٠)، فعن ابن مسعود قال كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم تلا الآية(٩١).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل؟ فقالوا: اسألوه عن الروح فسألوه فأنزل الله تعالى الآية(٩٢).

فهذا الخبر الثاني يدل على أنها بمكة وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه أما الخبر الأول فصريح في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وهو أرجح من حيث أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود كان مشاهد القصة من أولها إلى آخرها كما تدل على ذلك الرواية الأولى بخلاف الخبر الثاني فإن رواية ابن عباس لا تدل على أنه كان حاضر القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل وفي الأداء وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، وكذلك ان السؤال ومضمون الآية لا تتحمله ثقافة المشركين وواقع حالهم(٩٣)، ومن هذه الأمور أعملنا الرواية الأولى وأهملنا الثانية.

٢. ان ينسجم سبب النزول مع مضمون الآيات: وهو كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(٩٤)، عن الكلبي والسّدي ومقاتل وعطاء: قالوا نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي، وكان رجلاً وسيماً عذب البيان يتظاهر بالإسلام وحب الرسول ﷺ، وكان كلما جلس عند النبي ﷺ أقسم بالله على إيمانه وحبه للرسول، وكان الرسول ﷺ يغدق عليه من لطفه وحبه كما هو مأمور به، ولكن هذا الشخص كان منافقاً في الباطن وإنه يضمر خلاف ما يظهر، ثمّ إنه كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيّتهم ليلاً وأهلك مواشيهم واحرق زرعهم وكان حسن العلانية سئ السريرة(٩٥).

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في كفّار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة، إنّا أسلمنا فابعث إلينا نفراً من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكراً منهم فبعث إليهم رسول الله ﷺ جماعة من الدعاة؛ فساروا يريدون مكّة فنزلوا منطقة (بطن الرجيع) فدبّرت لهم مؤامرة لئيمة استشهدوا فيها(٩٦).

وهنا نلحظ ان سبب النزول الأول(٩٧) أكثر انسجاماً مع محتوى الآيات التي تصف في مضمونها شخص واحد بصفات معينة، لا حاكية عن صفات جماعة، وهو الواضح من الآيات التي تلتها أيضاً؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى

سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(٩٨)، وعلى أي حال فالدرس الذي تقدمه الآية عام وشامل.

الضابط الثالث: إذا استوت الروايتان في الصحة ولا مرجح لأحداهما على الأخرى وامكن الاخذ بهما معاً، اخذنا بهما معاً وحكمنا بنزول الآية عقب حصول السببين كليهما. فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه.

مثاله: ما تقدم من أسباب نزول آية اللعان إذ توافق ان سأل عاصم بن عدي مرّة، وسأل عويمر مرّةً أُخرى، واتّفق في مرّةٍ ثالثة أنّ هلال بن أُميّة سأل النبي ﷺ أيضاً فنزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٩٩).

الضابط الرابع: إذا استوت الروايتان في الصحة ولا مرجح ولا يمكن الاخذ بهما معاً، حكمنا بنزول الآية عقب كل سبب منهما، أي بتكرار نزولها.

مثاله: ما رُوي عن ابي هريرة: أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استُشهد وقد مُثّل به، فقال: (لأمثّلنّ بسبعين منهم مكانك)، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾(١٠٠)... إلى آخر السورة، فهذا يدل على نزولها يوم أُحد.

وفي رواية أخرى عن أُبي بن كعب قال: لما كان يوم أُحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لأن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾(١٠١).

والسورة مكية، فجمع بين ذلك، بأنها نزلت بمكة قبل الهجرة مع السورة، ثم بأُحد، ثم يوم الفتح، ولا مانع من ذلك لما فيه من التذكير بنعمة الله على عباده واستحضار شريعته، فخواتيم سورة النحل التي معنا مثلاً نلاحظ أن الحكمة في تكرارها هي تنبيه الله لعباده أن يحرصوا على العمل بما احتوته من الإرشادات السامية في تحري العدالة وضبط النفس عند الغضب ومراقبة الخالق حتى في القصاص من الخلق والتدرع بالصبر والثبات والاعتماد على الله والثقة بتأييده ونصره لكل من اتقاه وأحسن في عمله جعلنا الله منهم أجمعين آمين، أضف إلى هذه الحكمة ما ذكره الزركشي في قوله: (وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه، وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه، كما قيل في الفاتحة، نزلت مرتين: مرة بمكة، وأخرى بالمدينة)(١٠٢).

ومن الجدير بالذكر انه كما يتعدّد السبب والنزول واحد كذلك قد يتّفق كون السبب واحداً لآيات متفرّقة.

فقد روي أنّ أمّ سلمة قالت للنبي ﷺ(١٠٣): يا رسول الله! لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فنزل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١٠٤).

وكذلك عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله ما يذكر النساء فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ..﴾(١٠٥)، إلى آخر الآية(١٠٦).

فهاتان آيتان متفرّقتان نزلتا بسبب واحد ادرجت إحداهما في سورة آل عمران، والأخرى في سورة الأحزاب، وبذلك كان السبب في النزول واحداً وهو حديث أمّ سلمة مع النبيّ ﷺ والمُنزل متعدد.

خامساً: قاعدة: تُرجح أسباب النزول عند اختلاف الآراء

إذا صح سبب النزول الصريح فإنه يعد دليلاً مرجحاً إذا صح سبب النزول ما وافقه من أوجه التفسير، وقد مر من قبل أن المفسرين قرروا أن من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح، والغفلة عنها توصل صاحبها إلى الخروج عن مقصود الآيات.

فإذا تنازع المفسرون في تفسيرهم لآية من القرآن فتعددت آراؤهم فيها، فأولى هذه الأقوال في تفسير الآية ما وافق سبب نزولها الصحيح الصريح في السببية، وهذه قاعدة يُعتَمدُ عليها في ترجيح الأقوال بين المفسرين والعلماء.

ونكتفي هاهنا على مثال واحد وهو في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١٠٧).

اختلفت آراء المفسرين في تحديد وتفسير (البيوت) من هذه الآية على ثلاثة آراء سنذكرها، ثم نرجح الرأي المناسب لسبب النزول مع بيانه.

الرأي الأول: المراد بالبيوت في الآية هنا: المنازل المعروفة، وإتيانها بمعنى المجيء إليها ودخولها وهذا القول محمول على الحقيقة.

الرأي الثاني: المراد البيوت النساء، أمرنا لله بإتيانهن من القُبل لا من الدبر. وسمي النساء بيوتاً للإيواء إليهن، كالإيواء إلى البيوت، وهذا التفسير محمول على المجاز.

الرأي الثالث: أنها مَثل، فيصبح المعنى: ليس البر أن تسألوا الجهال ولكن اتقوا الله واسألوا العلماء، فهذا كما يقال أتيت هذا الأمر من بابه. فأمر الله الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها، وقيل غير ذلك.

وأُولى هذه الآراء بالصواب والصحة هو الرأي الأول، فقد صح في سبب نزول الآية عن البراء بن عازب قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه، فكأنه غير ذلك، فنزلت هذه الآية)(١٠٨).

ورجح هذا الرأي حسب القاعدة المذكورة مجموعة من المفسرين والعلماء(١٠٩).

الخاتمة..

وفي الخاتمة؛ نود ان نشير الى ان موضوع علم أسباب النزول بسبب ظروف البلد العامة؛ والوضع الصحي، وفقدنا بعض الأحبة قد أخذ منّا جهداً ووقتاً ليس بالقصير، حتى يخرج بهذا الشكل الذي بين ايديكم الآن، فذلك لم

يكن سهلاً على الاطلاق، ولكن حرصنا على تقديم مادة علمية نافعة للآخرين كان هو المحفز الأساس لنا طول الوقت.

وتوصلنا الى أن لكل خطأ سبباً، ولكل انحراف علةً، وكذلك التفاسير الخاطئة والتأويلات الفاسدة الموجودة في بعض كتب التفسير أو ما بحكمها، فإن لها أسباباً وعللاً وعوامل يعود اغلب أصلها ومنشؤها الجهل بأسباب النزول.

إذ ان كل آيات القرآن الكريم متعلقة بسبب نزول، اما سبب عام متعلق بهداية الناس وارشادهم واما بسبب خاص – وهو مدار بحثنا – وان الجهل بعلم أسباب النزول هو في الحقيقة قصور في تطبيق الشروط اللازمة للتفسير، والعدول عن مصادر التفسير الأصلية وأصوله الصحيحة الثابتة، ومن ثم عدم الدقة في فهم نصوص الآيات ومدلولاتها، فتكون النتيجة إخضاع النصوص القرآنية للأهواء والتعصبات والبدع.

واتضح أيضاً إنَّ العلوم الإسلاميَّة كلٌّ لا يتجزَّأ، وإنَّ أسباب النُّزول من أهمِّ العلوم التي ينبغي الاعتناء بها مِن حيث الدراية؛ إذ له دورٌ كبير في فهْم القرآن، وله أثَر في المسائِل الفقهيَّة تخصيصاً أو تعميماً.

إن الأعمال المشيدة في هذا المجال ارتكبت فيها أخطاء رجعت أساساً إلى جملة من الأسباب تركزت على التساهل في نقل الأخبار، وعدم التمييز بين الصحيح منها من السقيم، وعدم وضوح مصطلح أسباب النزول عند بعض المؤلفين، مما جعل كثيراً من المفاهيم تختلط معه.

القرآن الكريم وسنة المعصوم „ يعدان الأصل وما سواهما فرع عنهما، فهما عمدة في تقرير الأحكام الشرعية لمراد الله تعالى من عباده.

ان هذا العلم دين فلا يحل القول فيه بالاجتهاد ولكن بالرواية الصحيحة ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على أسباب النزول، وبحثوا عن علمها ولا توجد صيغة محددة لأسباب النزول.

أسباب النزول هي نصوص حديثية لذلك لابد من إخضاعها لقواعد علم مصطلح الحديث وهو المنهج الأمثل في قبول الروايات أو ردها.

أن معرفة أسباب النزول كانت الفيصل في تحصين الفهم للنص القرآني من الغلط والأوهام، والأهتداء إلى التأويل الصحيح.

أن اهتمام العلماء والباحثين بهذا الفن كان نتيجة لأهميته البالغة، ودوره الحاسم في تحديد تاريخ النزول، ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة المكي والمدني، وحيثيات النزول بأكملها، وهذا الإقناع جعل البحث يتجه إلى أسباب النزول، والعمل على تدوين كل الروايات المنسوبة له، فبقدر معرفة الفقيه لهذه الأسباب بقدر ما تكامل عنده الوعي بالآية، وهذا أمر في غاية الأهمية.

وفي نهاية المطاف أختم بما صدره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني للطبعة الثالثة من كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" إذ قال: (لا أدَّعي أنَّني أنشأت وابتكرت، ولا أحدثت وابتدعت، بل قصاراي أنَّني فهمتُ وأحسنتُ العرض إذا كنت وُفِّقتُ، أمَّا المادة نفسها، فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة...).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الهوامش

(١) أسباب النزول، ص٨.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢٢، ظ: السيوطي، الإتقان الاتقان في علوم القرآن، ١/٨٨.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣/١٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ٤/٩٠.

(٥) قد اورد أحد الباحثين جملة من المؤلفات الخاصة بأسباب النزول وقسمها على مستويين قديمة ومعاصرة وهو بحث ظاهره لا يعدو كونه دراسة بيوغرافيا للتوسعة ظ: عبد الستارجبر غايب، علم أسباب نزول القرآن وصيغه وطرائق معرفته وفوائده وجهود العلماء في تطوره، ص٣٤٥ – ٣٤٨.

(٦) د. بسام الجمل، أسباب النزول علماً من علوم القرآن، ص١٢.

(٧) د. فاضل مدب المجدي، أثر أسباب النزول في تفسير النصوص، ص٣٢١.

(٨) ظ: أسباب النزول: علي بن المديني (ت:٢٣٤هـ)، أسباب النُّزول: الواحِدِيّ أَبِي الحَسَن (ت:٤٦٨هـ)، العُجَاب في بيان الأسباب: ابنِ حَجَرٍ العَسقَلانِي ت:٨٥٢هـ)، لُباب النُّقول في أسباب النُّزول: السّيُوطيّ جَلالِ الدِّين (ت:٩١١هـ)، أسباب النزول: للقطب الراوندي (ت:٥٧٣هـ)، ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين ع: أبي نعيم الإصفهاني (ت:٤٣٠هـ).

(٩) ظ: أسباب النزول بين الدراية والرواية: عبد الله ابراهيم المغلاج، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول: لخالد عبدالرحمن العك، المحرر في أسباب نزول القرآن في الكتب التسعة للدكتور خالد المزيني، الصحيح من أسباب النزول: للدكتور عصام بن عبدالمحسن الحميدان. سباب النزول القرآني: للدكتور غزي عناية.

(١٠) التفسير الحديث، ١/١٠١.

(١١) ظ: د. عدنان بن محمد أبو عمر، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم –دراسة نظرية تطبيقية–، ص٧٢.

(١٢) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.

(١٣) تفسير التحرير والتنوير، ١/٤٧.

(١٤) ظ: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ١/١٣١. مادة: (سَبَب).

(١٥) الاتقان في علوم القرآن، ١/٩٤.

(١٦) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١/٤٢، ظ: الزرقاني، مناهل العرفان، ١/٦٤.

(١٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠ – ١٠٣.

(١٨) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(١٩) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢٠) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٢١) ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ١/٢٥٤.

(٢٢) ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/١٢٠.

(٢٣) د. بسام الجمل، أسباب النزول علما من علوم القرآن، ص٤٤٣.

(٢٤) الفوز الكبير في أصول التفسير، ص١٠٨.

(٢٥) تفسير القرآن الكريم، ص٢٩.

(٢٦) أسباب النزول، ص١١٥.

(٢٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢٨) ظ: الثعلبي، الكشف والبيان،٢/١٢٥، الحاكم النيسابوري، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل،١٢٣؛ الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ٥/٢٢٣، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/٢١.

(٢٩) ظ: أسباب النزول، ص٩.

(٣٠) ظ: العجاب في بيان الأسباب، ١/٢٠٠.

(٣١) ظ: المصدر نفسه.

(٣٢) ذكر ذلك عنه الذهبي حيث وصفه كان من أئمة اللغة العربية. ظ: تاريخ الإسلام، ٢٥٩/٣١.

(٣٣) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/٤١٧.

(٣٤) الجامع لأخالق الراوي وآداب السامع، ٢/١٦٣.

(٣٥) مقدمة ابن خلدون، ص١٠.

(٣٦) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

(٣٧) معالم التنزيل، ٢/٤١٨.

(٣٨) ظ: تفسير مفاتيح الغيب، ١٨/٨٢.

(٣٩) محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ١/١٠٤.

(٤٠) محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص١٢٦.

(٤١) المجلسي، بحار الأنوار، ٩/٩٣.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، ١/٤١. ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٨.

(٤٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

(٤٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤٦) ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١/٢٧.

(٤٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٨. توضيح سبب النزول في هذه الآية: أن العرب كانوا قد وضعوا على الصفا صنما على صورة رجل يقال له "أساف" وعلى المروة صنما على صورة امرأة يقال لها "نائلة" وكانوا يعتقدون بأنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله ، لكن لمّا طالت المدة عبدهما العرب جهلا وتبرّكوا بمسحهما، ثم لمّا جاء الإسلام وكسرت الأصنام زعم المسلمون أن السعي بين الصفا والمروة من بِدَع الجاهلية، فنزلت الآية لترفع هذه الشبهة عن أذهان المسلمين لا للحكم بجواز السعي. ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ١/٢٤٢.

(٤٨) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٤٩) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٥.

(٥٠) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٥١) ظ: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١/٢٥٣.

(٥٢) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٢٦٣.

(٥٣) ظ: الكليني، الكافي، ٤/٢٦.

(٥٤) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤/٧٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ٥/٣٧٠.

(٥٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥/٤٠٤.

(٥٧) سورة المجادلة، الآية: ٢.

(٥٨) ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٩/٥٤١.

(٥٩) سورة المجادلة، الآية: ١-٢.

(٦٠) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(٦١) ظ: الأندلسي ابو حيان، تفسير البحر المحيط، ١/٦٣٣.

(٦٢) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٦٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٦/٢١٠.

(٦٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

(٦٥) ظ: السيوطي، لباب النقول، ص١٦١.

(٦٦) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٦٧) الواحدي، أسباب النزول، ص١٣٤.

(٦٨) د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، تأريخ القرآن وعلومه، ص١٧٨.

(٦٩) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

(٧٠) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٢٧٦.

(٧١) سورة المجادلة، الآية: ١٣.

(٧٢) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٧٦.

(٧٣) للتوسعة في هذه الخطابات ظ: د. حسن كاظم اسد ود. جاسم محمد علي، خطابات اللوم والعتاب للرسول ﷺ – سورة عبس الآية من (١-١٠) انموذجا –، ص٣٢.

(٧٤) الكليني، الكافي، ٢/٦٣٠.

(٧٥) سورة الاسراء، الآية: ٧٤. ينظر في تفسيرها: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٩/١٣٤.

(٧٦) العياشي، تفسير العياشي، ١/١٠.

(٧٧) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٧٨) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٧٩) سورة القصص، الآية: ٨٦ – ٨٨.

(٨٠) سورة عبس، الآية: ١–٣. ذهب اتباع مدرسة أهل البيت ع من المفسرين ان هذه الآيات لم تكن أصلاً مخاطبة للنبي ص إلا النادر منهم عن طريق بعض المرويات كالطبرسي. ظ: مجمع البيان، ١٠/١٩٧، وذهب جمهور مدرسة الصحابة الى انها كانت مخاطبة للنبي ص.

(٨١) العياشي، تفسير العياشي، ١/١٣.

(٨٢) المصدر نفسه، ١/١٠.

(٨٣) المصدر نفسه، ١/١١.

(٨٤) سورة النور، الآية: ٦.

(٨٥) ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٤٠.

(٨٦) مناهل العرفان في علوم القرآن، ص٨٧.

(٨٧) الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١.

(٨٨) المصدر نفسه، ص٣٠٢.

(٨٩) قال ابن حجر: (قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب وفي إسناده من لا يُعرف). السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/٩٥.

(٩٠) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.

(٩١) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١.

(٩٢) ظ:البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٣/١٥٧ .

(٩٣) إذ ان المشركين من أهل مكة لم يكن لديهم ثقافة بهذا المستوى بسبب بيئتهم وكذلك انهم لم يكونوا أهل كتاب، وكانوا لا يعتقدون بعالم غير ملموس ومشاهد؛ (**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**). سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٩٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٩٥) ظ: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٢/١١٩، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٢/١٢٢، وذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ان أسمه: (الاخنس بن شريف) ولعله خطأ مطبعي، ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢/٤٨.

(٩٦) ظ: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ١/١٨٠.

(٩٧) وهنا نخالف الرازي في اختياره للرواية الأولى، إذ يرى ان (القول الثاني: في الآية وهو اختيار أكثر المحققين من المفسرين). تفسير مفاتح الغيب، ٥/٢١٦.

(٩٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥-٢٠٦.

(٩٩) سورة النور، الآية: ٦.

(١٠٠) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(١٠١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(١٠٢) ظ: البرهان في علوم القرآن، ١/٢٩.

(١٠٣) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٩٣.

(١٠٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥. وذهب بعض أهل العلم من مدرسة أهل البيت b انها نزلت: (في علي عليه السلام لما هاجر ومعه الفواطم – فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة بنت الزبير – ثم لحق بهم في ضجنان أم أيمن ونفر من ضعفاء المؤمنين – فساروا وهم يذكرون الله في جميع أحوالهم حتى لحقوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزلت الآيات: (**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا...**). ظ: القمي، تفسير القمي، ١/١٢٩، الطوسي، الأمالي، ص٤٧١، الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ١/٤١٠، إلا ان السيد محمد حسين الطباطبائي لم يعتد بجميع أسباب النزول الوارد في المدرستين، وقال: (فهذه جميعا روايات تطبق الآيات على القصص وليست بأسباب للنزول حقيقة). الميزان في تفسير القرآن، ٤/٩١. وبالجملة ههنا نوافق العلامة الطباطبائي في رأيه مع مخالفته للمشهور عند أهل التفسير وأدرجنا في المتن على سبيل الدرس وعلى أمل التحقيق مستقبلاً ان شاء الله تعالى.

(١٠٥) سورة الاحزاب، الآية: ٣٥.

(١٠٦) ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/١٩٩. ولقد رويت بضع روايات في مناسبة نزول الآية اختلفت فيها الأسماء والكيفيات واتفقت الغاية وهي تساؤل بعض المسلمات عن سبب اختصاص القرآن الرجال بالذكر والتنويه. أو مراجعة بعضهن النبي ﷺ في ذلك وممن ذكرت الروايات أسماءهن أم سلمة أم المؤمنين وأسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب و أم عمارة الأنصارية. ظ: محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ٧/٣٨٤.

(١٠٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(١٠٨) ظ: الواحدي، أسباب النزول، ص٣٢.

(١٠٩) ظ: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٤/٩٩ – ١٢٢، أبو حيان، بالبحر المحيط، ٤/١٤، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢/٤٩.

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

١. بسام الجمل (الدكتور)، أسباب النزول علماً من علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٥م.
٢. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
٣. الأندلسي ابو حيان (ت:٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، دار الرسالة العالمية، بيروت.
٤. البغوي أبو محمد الحسين (ت:٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
٥. الثعلبي ابو اسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٦. حسن كاظم اسد (الدكتور) وجاسم محمد علي(الدكتور)، خطابات اللوم والعتاب للرسول ﷺ سورة عبس الآية من (١-١٠) انموذجاً، مجلة أهل البيت سورة عبس الآية من (١-١٠) انموذجاً، مجلة أهل البيت b، جامعة أهل البيت ع، كربلاء المقدسة، ٢٠١٣م، العدد ١٤.
٧. الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ)، تفسير مفاتح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.
٨. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٩. الزركشي بدر الدين(ت:٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الغدير الجديد، القاهرة، ٢٠١٥م.
١٠. الدهلوي (ت: ١١٧٦هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي ، ط٢، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٦م.
١١. ابن سعد (ت:٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٢. سيروان عبد الزهرة الجنابي(الدكتور)، تأريخ القرآن وعلومه، مطبعة دار الأمير، النجف الأشرف، ٢٠١٥م.
١٣. السيوطي جلال الدين(ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية،بيروت،٢٠٠٤م.
١٤. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
١٥. الطوسي محمد بن الحسين (ت:٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.
١٦. عبد الستارجبر غايب، علم أسباب نزول القرآن وصيغه وطرائق معرفته وفوائده وجهود العلماء في تطوره، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، ٢٠١٣م، العدد ١٥.
١٧. ابن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
١٨. عدنان بن محمد أبو عمر، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية –، مجلة الإحياء، الجزائر، السنة ٢٠١٧م، العدد٢٠.
١٩. العياشي محمد بن مسعود (ت:٩٣٢هـ)، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.
٢٠. الكليني(ت:٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٤،١٣٦٥هـ.

٢١. فاضل مدب المجدي (الدكتور)، أثر أسباب النزول في تفسير النصوص، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٠١٢م، العدد ١١.

٢٢. المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي وآخر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٣. محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ط٢، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٧هـ.

٢٤. محمد حسين الطباطبائي (ت:١٩٨١م)، القرآن في الإسلام، المترجم: السيد احمد الحسيني، دار الكتب الاسلامية، قم.

٢٥. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٢٦. محمد عزة دروزة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٧. محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن،مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.

٢٨. ابن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٢٩. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣٠. الواحدي النيسابوري (ت:٤٥٨هـ)، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

❁❁❁